الفصل الرابع

الإمام ابن عادل الدمشقي وتفسيره اللباب في علوم الكتاب

ويتضمن هذا الفصل على خمسة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: دراسة الحالة العامة لعصر الإمام ابن عادل الدمشقي

المبحث الثاني: ترجمة الإمام ابن عادل الدمشقي

المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام ابن عادل الدمشقي "معالم اللباب في علوم الكتاب"

المبحث الرابع: منهج ابن عادل الدمشقي في تفسيره معالم اللباب في علوم الكتاب

المبحث الخامس: اللباب في علوم الكتاب في الميزان

** ** **

Prince of Songkla University Pattani Campus

المبحث الأول: دراسة الحالة العامة لعصر الإمام ابن عادل الدمشقي

المطلب الأول: الحالة السياسية:

نشأ ابن عادل في عصر المماليك، حيث كانت لهم السيادة الكاملة آنذاك على العالم العربي والإسلامي، وتتألف أقطارها مِن الشام ومصر والحجاز واليمن، والمماليك وَرِثوا السيادة عن الدولة العباسية إثر سقوطها على أيدي المغول التتار[279].

ويمكن تقسيم المماليك إلى قسمين، أو إلى دولتين بالأصح، المماليك "البحرية"، وسميت بالبحرية، لإقامة مماليكها في جزيرة الروضة في مصر[280].

1- **المماليك البحرية:**

هم طائفة من الأرقاء جلبهم الملك الصالح نجم الدين أيوب [281]، ودربهم على فنون القتال والسلاح والرماية وغيرها مِن الفنون، وقد تميز هذا العصر بالتقدم والقوة والحضارة، وكانت فترة حكمهم مِن سنة 648هـ حتى سنة 784هـ، وقد حكم في هذه الفترة خمسة وعشرون سلطانا[282].

2- **المماليك البرجية"الجراكسة":**

وهم المماليك الذين اشتراهم السلطان "قلاوون"[283] وسموا بالجراكسة نسبة إلى موطنهم الأصلي الذي أتوا منه "جورجيا" أو بلاد الشركس. واتسم هذا العصر بالضعف والانحطاط، وكانت فترة حكمهم من سنة 784هـ حتى سنة 923هـ، وحكم خلال هذه الفترة ثمانية عشر سلطاناً[284].

---

[279] ينظر: حسن، مصر في العصور الوسطى. ص (228).

[280] المرجع نفسه.

[281] هو: نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب لقب بـ أبي الفتوح، مؤسس المماليك البحرية ولد في القاهرة سنة 603 هـ، وتوفي أثناء الحملة الصليبية السابعة واحتلالها دمياط سنة 647 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (187/23-193).

[282] ينظر: عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك. ص (214).

وقد عاش الإمام ابن عادل في ظل المماليك البحرية، وامتاز عصره بما امتاز به العصر المملوكي عامةً، مِن كثرة الخلافات السياسية والنزاع على السلطة، مما أدى إلى نشوب حروب داخلية[285] ولكن رغم الخلافات، إلا أنهم يتحدون أمام الخطر الخارجي، وقد أكسبهم هذا الاحترام مِنْ قِبَلِ المسلمين، خصوصًا أنهم استطاعوا وقف الزحف المغولي وانتصر عليهم سنة 658هـ، وطَرْدِهم الصليبين مِن الشام ومصر، وذلك في نهاية القرن السابع الهجري[286].

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية والاقتصادية:

اتسمت الحالة الاجتماعية في عصر المماليك بالنشاط والحركة المستمرة، إلا أن سمتها لم تكن ذات طابع عام في المجتمع، فلقد عاش المماليك حياة ترف وثراء فاحش، مما كانت حياة الفلاحين والعوام أقرب إلى الفقر والحاجة والمعاناة، وأما التجار والعلماء، فقد تبوؤوا المرموق من المكان في المجتمع[287] وأما الطوائف الأخرى فقد كان للدولة اهتمام بالغ بهم، وكان لكل طائفة من أهل الذمة رئيس يعينه السلطان[288].

المطلب الثالث: الحالة العلمية والثقافية:

ازدهرت الحياة العلمية في عصر المماليك، رغم الخلافات التي سبقت ذكرها، وكان هناك اهتمام كبير بالعلماء وبِمَكان العِلْم، حيث أُنشئت العديد مِن المدارس، وكَثُرت حلقات العلم والمناظرات، والجمع والتأليف[289]، ويعود هذا الازدهار للأسباب التالية:

---

283 هو: المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي أحد أشهر سلاطين المماليك البحرية ورأس أسرة حكمت مصر والمشرق العربي مايزيد على قرن من الزمان. بويع له بالخلافة سنة 678 هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 689 هـ. ينظر: حداد، السلطان المنصور قلاوون. ص (9) (15-16).

284 ينظر: الأديب المصري، بدائع الزهور في وقائع الزهور (288/1)..

285 ينظر: حسن ، مصر في العصور الوسطى. ص (320).

286 ينظر: عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك. ص (229).

287 المرجع نفسه. ص (270).

288 ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (203/2).

289 ينظر: الأديب المصري، بدائع الزهور في وقائع الزهور (358/2).

Prince of Songkla University Pattani Campus

1- احتكار المماليك لجميع الوظائف السياسية والعسكرية، وتركهم للوظائف الدينية، حيث كانوا رجال سيف، مما دفع أهل البلاد الأصليين إلى الاهتمام بالعلم والتعلم والتعليم[290].

2- انتقال مراكز العلم مِنْ بغداد والكوفة والبصرة إلى مصر ودمشق وحلب وحماة بعد غزو المغول والتتار، مما له أثرٌ في تنشيط الحركة الفكرية في البلدان والإبداع دون الخروج على روح النص، ولعل تفسير الإمام ابن عادل يمثل أنموذجا لطبيعة العلم السائد آنذاك[291].

ولقد أنشئت في هذا العصر العديد مِن المدارس، فقد أنشئت ثلاث وستون مدرسة للمذهب الشافعي، واثنتان وخمسون مدرسة للمذهب الحنفي، وإحدى عشرة مدرسة للمذهب الحنبلي، وأربع مدارس للمذهب المالكي، ومِن أشهر هذه المدارس:

1- دار الحديث الظاهرية.

2- دار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون.

3- دار الناصرية البرّانية والجوّانية.

4- دار القرآن الدلامية في الجسر الأبيض على نهر تورا.

5- الجامع الأموي الكبير.

ولا شك أن كثرة المدارس ودور التعليم دليلٌ صريحٌ على بروز العلم وازدهاره في ذلك العصر[292].

ومِن الطبيعي أن يَبرز علماء أجلاء بعد توفر هذا الجو المناسب للتعلم والتعليم، فقد برز علماء في مختلف الفنون، وسيقتصر الباحث على ذكر بعض العلماء الذين برعوا في عِلْم التفسير وعلوم القرآن:

1- بدر الدين الزركشي، المتوفى سنة 794هـ، صاحب البرهان في علوم القرآن.

---

[290] ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (44).

[291] المرجع نفسه. ص (45).

[292] ينظر: العلمي، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين. ص (91-93) (171-178).

Prince of Songkla University Pattani Campus

2- أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة 745 هـ، صاحب تفسير البحر المحيط.

3- أحمد يوسف بن عبد الدايم المعروف بالسمين الحلبي[293] المتوفى سنة 756هـ صاحب تفسير الدر المصون. وغيرهم مِن العلماء[294].

المبحث الثاني: ترجمة الإمام ابن عادل الدمشقي

المطلب الأول: السيرة الشخصية للإمام ابن عادل الدمشقي:

اسمه ونسبه:

هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي، النُّعماني ، الدمشقي، أبو حفص الملقب بسراج الدين[295]. أما نسبته بالحنبلي فَنِسبةٌ إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، والدمشقي فَنِسبةٌ إلى موضعٍ في الشام، أما بالنسبة للنُّعماني، ففيه قولان:

أ- إنه نسبة إلى بلدة اسمها نُعمان:

وهي بلدة بوادٍ قريب مِن الفرات على أرض الشام، قريب مِن الرَّحْبة، والدليل على ذلك، جميع شيوخ ابن عادل مِن الشام، وما يقوى على أنه بلدة، ما ورد في آخر الجزء الأول مِن النسخة الموجودة في المكتبة الأحمدية بحلب: "جمعه وعلقه لنفسه عمر بن علي بن عادل النُعماني منشأً الحنبلي مذهباً[296]".

---

293 هو: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم، شهاب الدين أبو العباس، رحل إلى مصر وبرع في علوم النحو والقراءات أخذ النحو عن أبي حيان، والقراءات على التقي الصائغ، وهو صاحب كتاب الدر المصون في الكتاب المكنون، توفي سنة 756 هـ. ينظر: السيوطي، طبقات المفسرين (100/1).

294 ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (47 وما بعدها).

295 ينظر: كحالة، معجم المؤلفين (568/2) ، الزركلي، الأعلام (58/5).

296 ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (57).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ب- وإما أن تكون منسوبة إلى شخص:

فيكون أحد أجداده، وما يقوي هذا القول ما ورد في النسخة الأحمدية في الصفحة الأخيرة مِن الجزء الأول (الورقة 297/آ) وعلى غلاف الجزء الثالث مِن نسخة تشستربتي (الورقة 1/ب) أنه" النُّعماني نسباً الحنبلي مذهباً[297]".

وأما مَنْ نَسب ابنَ عادل إلى الصحابي الجليل النعمان بن بشير[298] رضي الله عنه، فلا دليل على ذلك[299].

مولده ونشأته ووفاته:

لقد شحت المصادر في ترجمة ابن عادل، ولم يجد الباحث خلال اطلاعه في كتب التراجم حسبما اطلع مَن ترجم له وحدد تاريخ ولادته ووفاته والحديث عن سيرته، وقد ذكر صاحب طبقات المفسرين " أحمد الأدنروي" ابن عادل في فصل الأئمة الذين لا يوجد لهم تاريخ لوفاتهم ولا لمولدهم في الطبقات والتواريخ[300]. حتى إن المؤرخ الشيخ محمد راغب الطباخ[301] كتب عنه مقالة باسم (ترجمة مفقودة)[302].

ولكن مِن الممكن معرفة تاريخ تقريبي لمولده ووفاته مِن خلال استقراء شيوخه وتلامذته، ومعرفة تراجمهم. مِن خلال دراسة تراجم شيوخ ابن عادل؛ يتبين أنه ولد في أواخر القرن السابع، وعلى أوجه أقرب بعد سنة 675 هـ على الأقل، وبيان هذا في استعراض مولد ووفاة شيوخه:

---

297 المرجع نفسه.

298 هو: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري أبو عبد الله، خطيب وشاعر من أجلاء الصحابة، من أهل المدينة ورحل إلى الشام وتوفي في معرة النعمان سنة 62 هـ. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة (1065/1).

299 ينظر: المرجع السابق. ص (58).

300 ينظر: الأدنه وي، طبقات المفسرين. ص (418).

301 هو: محمد بن راغب بن محمود بن هاشم الطباخ، من أهل حلب ومن كبار فضلائها قرآ كثيرا على علماء حلب وحفظ المتون، درس في كلية الشريعة بحلب ثم اختير مديرا لها، وانتخب عضوا في مجمع العلمي العربي بدمشق، له مصنفات منها المطالب العلية في الدروس الدينية. ينظر: الزركلي، الأعلام (123/6).

302 ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (381/20).

Prince of Songkla University Pattani Campus

-شيخه محمد بن علي بن ساعد، ولد سنة 637 هـ وتوفي سنة 714 هـ في القاهرة.

-شيخته وزيرة بنت عمر بن المنجا، ولدت سنة 624 هـ، وتوفيت سنة 716 هـ في دمشق.

-شيخه أحمد بن أبي طالب المعروف بابن الشحنة الحجار توفي سنة 730 هـ.

فَمِن خلال عرض وفيات شيوخ ابن عادل يتبين أنه كان أهلاً لسماع الحديث في بداية القرن الثامن وعليه فتكون ولادته في آخر القرن السابع، وبما أن المسندة وزيرة توفيت في دمشق سنة 716 هـ، والحافظ ابن الشحنة توفي في دمشق سنة 730 هـ، فإن ذلك يدل على أن ابن عادل كانت نشأته ونشاطه العلمي في دمشق.

وأما ابن ساعد؛ فيرى الباحث أن ابن عادل سمع منه في دمشق؛ لأن ولادة ابن ساعد كانت في حلب كما سيأتي ووفاته في القاهرة، فيكون ابن عادل سَمِع معجم الطبراني الكبير مِنْ ابن ساعد أثناء طريق رحلته إلى القاهرة ومروره بدمشق، وهذا يعني أيضاً أن ابن ساعد مكث في دمشق مدة، مما يدل على بعد خروج ابن عادل مِن دمشق والله أعلم[303].

أما عن وفاته فالأغلب أنها بعد 780 هـ، وذلك لأن الحافظ الهيثمي[304] سَمِع منه بعض المرويات.

وأما ما جاء في بعض النسخ، أنه تم الفراغ مِن نسخها كان في سنة 860 هـ في تشستربتي، أو 876 هـ في الأحمدية، لا دلالة أنه توفي بعد 800 هـ، لأن هذه التواريخ للنسخ، والدليل على ذلك تعارض تواريخ انتهاء النسخ مع بعضها البعض[305].

---

[303] ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (59-60).

[304] هو: علي بن أبي بكر بن سليمان، نور الدين أبو الحسن الهيثمي القاهري الشافعي صهر الزين العراقي صحبه ولم يفارقه حتى مات، ولد سنة 735 هـ وتوفي سنة 807 هـ من آثاره مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ينظر: الزركلي، الأعلام (266/4).

[305] ينظر: المرجع السابق. ص (61).

المطلب الثاني: السيرة العلمية للإمام ابن عادل الدمشقي:

لقد نشأ الإمام ابن عادل الدمشقي في بيئة علمية جعلت منه واحدًا مِن الأئمة الذين ساروا على المذهب الحنبلي، وواحدًا ممن خلد تفسيره حتى يومنا هذا، ولقد سبق للباحث ذكر أسماء شيوخه أثناء تحديد ولادة ووفاة الإمام ابن عادل الدمشقي، وسيعيد الباحث ذكرهم إتماما للفائدة، وهم:

1- محمد بن علي ساعد الحلبي[306].
2- وزيرة بنت عمر[307].
3- أحمد الحجار.

أما تلامذته فلم يصرح أحدٌ منهم بسماعه من الإمام ابن عادل الدمشقي حسب اطلاع الباحث على كتب التراجم سوى تلميذ واحد وهو الحافظ الهيثمي الذي سَمِع مِن ابن عادل جزءا مِن معجم الطبراني، فقال:"وأخبرني عبد القادر أيضا بقراءتي عليه من أول الجزء الثاني والثمانين. وأوله حدثنا أبو يزيد القراطيسي، فذكر النعمان بن بشير أن أباه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني نحلت ابني هذا غلاما....الحديث). وينتهي إلى تفسير حديث هند ابن أبي هالة."وأخبرني من هنا إلى باب اللام ألف أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الحنبلي بقراءتي أيضا[308]".

ومع عصر الازدهار وانتعاش حركة التأليف الذي عاش فيه الإمام ابن عادل الدمشقي، فقد ترك لمن بعده مؤلفين هامين وهما:

1- اللباب من علوم الكتاب. كتاب في التفسير وهو بصدد الباحث دراسته.
2- حاشية على المحرر في الفقه الحنبلي لابن تيمية.

---

306 ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (153/1-154).
307 ينظر: التقي الفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (248/2).
308 ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (153/1).

ثناء العلماء عليه:

أثنى العلماء على ابن عادل مِن خلال ثنائهم على تفسيره، فالمحبي[309] صاحب (نفح الريحانة) يذكر أبياتًا في ترجمته لمفتي الشافعية في حلب، أبي الوفا: محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي[310] ومدح فيها، منها:

له الباع في التفسير ضاهى ابن عادل وحيث روى الأخبار تدعوه يحصب[311]

أثر الإمام ابن عادل الدمشقي في عصره:

وبعد، فإن مع قلة المصادر المترجمة للإمام ابن عادل الدمشقي إلا أنه مع ما ورثه لمن بعده مِن كتبه المصنفة؛ يتبين للباحث أنه كان يحتل مكانًا مرموقًا في وقته، وأنه كان مِن المفسرين العظام وإن كان ناقلًا جامعًا كما سيأتي، وأنه كان بعيدًا عن الحياة السياسية، ولم يختلط بالملوك والحكام، وهذه الصورة المشرقة تبعث في النفوس اطمئنانها وفخرها واعتزازها لوجود أمثال هؤلاء العمالقة الذين لم يتوانوا لحظة في خدمة الدين والقرآن الكريم والسنة المطهرة وإفناء آجالهم ومرخصا لأعمارهم مِن أجل ذلك. رحمهم الله أجمعين.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير الإمام ابن عادل الدمشقي "اللباب في علوم الكتاب"

المطلب الأول: أسماء كتاب اللباب في علوم الكتاب:

اختلفت المصادر في شيءٍ مِن اسمه، ففي نسخة الأحمدية وآيا صوفيا والرباط وكوبريلي اسمه "اللباب مِن علوم الكتاب[312]"، وفي المصادر الحديثة التي ترجمت لابن عادل "اللباب في علوم

---

[309] هو: محمد أمين بن فضل الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر بن داود المحبي الحموي الأصل الدمشقي الحنفي، مؤرخ أديب وشاعر، لغوي مشارك في بعض العلوم ولد بدمشق 1061هـ وتوفي فيها سنة 1111 هـ. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين (78/9).

[310] هو: محمد بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود العريضي الحلبي أبو الوفاء الشافعي القادري المتوفى سنة 1071 هـ، اشتغل بالتاريخ والأدب، له كتب منها حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي. ينظر: الزركلي، الأعلام (317/6).

[311] المحبي، نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (215/2).

[312] ينظر: خرمندي، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، سورة الأنبياء والحج والمؤمنون، دارسة وتحقيق. ص (34).

Prince of Songkla University Pattani Campus

الكتاب[313]"، أما في طبقات المفسرين للأدنروي فقال: "اللباب مِن علم الكتاب[314]"، وأما محمد الطباخ فقال: "اللباب مِن علم الكتاب[315]".

المطلب الثاني: الجهود السابقة:

لقد تولى الباحثون الاهتمام بابن عادل ومنهجه في تفسيره، فغير ما ذكر الباحث في مقدمة البحث وهي رسالة ماجستير التي تقدم بها الطالب عبد الحي حسن موسى عبد المجيد إلى جامعة نابلس بفلسطين بعنوان: **"الإمام أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي المتوفى سنة 880 هـ ومنهجه في التفسير"، فقد تقدم أيضا** الباحث مناع القرني عام 1414هـ ببحث بعنوان " منهج ابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب" بالإضافة إلى تحقيق سورة الفاتحة، وهي رسالة أعدت لنيل الدكتوراه، مِن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، ولعله مما يؤخذ على الباحث أنه لم يستطع تحديد مصادر التفسير، فجعل كل عالم ذكر اسمه في التفسير مِن مصادره، وأغفل عن ذكر الدر المصون الذي هو أحد مصادر ابن عادل في تفسيره[316].

وقام الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشائع[317] مِن قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض، بكتابة مقالة في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود[318]، دَرَس في هذا المقال شخصية ابن عادل وتفسيره اللباب، ولعله لم يستطع تحديد المصادر أيضًا التي نقل منها ابن عادل في تفسيره.

بالإضافة أنه أشار في آخر مقاله إلى دراسات في هذا التفسير، قدمت على شكل أطروحات جامعية لكلية اللغة العربية، ففي جامعة الأزهر بمصر، ذكر منها:

---

313 ينظر: كحالة، معجم المؤلفين (468/2) الزركلي، الأعلام (58/5).

314 ينظر: الأدنه وي، طبقات المفسرين. ص (418).

315 ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية- 1945 م. (318/20).

316 ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (182).

317 هو: محمد بن عبد الرحمن الشائع، باحث سعودي، له كتب منها أسباب اختلاف المفسرين، ونزول القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. المرجع نفسه.

318 ينظر: مجلة الإمام محمد بن سعود، العدد 17، الصادر في رجب 1417 هـ.

Prince of Songkla University Pattani Campus

1- دراسة أحمد الزين[319] ، علي العزاوي، بعنوان "اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن عادل الدمشقي من أول الاستعاذة إلى قوله ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ دراسة وتحقيق.

2- دراسة إبراهيم السيد إبراهيم بدوي، بعنوان "دراسة وتحقيق المسائل النحوية واللغوية من كتاب اللباب" وذلك لنهاية سورة البقرة[320].

وهناك رسائل عديدة[321] مِن جامعة أم درمان – كلية أصول الدين، أعدت لنيل درجة الماجستير، في دراسة وتحقيق مِن كتاب تفسير ابن عادل اللباب مِن علوم الكتاب، يذكر الباحث منها:

1- أحمد محمد الفاضل، سورة البقرة من الآية (102) إلى الآية (152) –1999م.

2- محمد بسام الشوكي، سورة الفاتحة، وسورة البقرة إلى قوله تعالى: ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير1999–﴾م.

3- خديجة محمد المحمود، سورة الشورى إلى سورة الأحقاف–2000م.

4- محمد عمار أحمد الشوى، سورة الكهف إلى سورة طه–2004م.

5- إيمان وجيه بشار، سورة الأعراف من الآية (1) إلى الآية (103)–2005م.

6- محمد عدنان أفيوني، سورة النساء إلى قوله تعالى ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾– 2009م.

المطلب الثالث: طبعات الكتاب:

طُبع كتاب اللباب كاملًا، ونشرته دار الكتب العلمية، حيث قام بتحقيقه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وشاركهم في تحقيقه برسالته الجامعية كلٌ مِن الدكتور: محمد سعد رمضان حسن، والدكتور محمد المتولي الدسوقي حرب، وهذا الكتاب لم يَخْلُ مِنْ أخطاء، وقد حرر

---

319 أحمد الزين شاعر مصري كفيف، ولد سنة 1318 هـ، توفي سنة 1366 هـ، من مؤلفاته القطوف الدانية، قلائد الحكمة. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين. (228/1).

320 ينظر: مجلة الإمام محمد بن سعود، العدد 17، الصادر في رجب 1417 هـ.

321 لقد سبق للباحث الاطلاع على هذه الرسائل حينما كان طالبًا في جامعة دمشق سنة 2011 م، فقد سُمح له بالاطلاع على هذه الرسائل بكلية أصول الدين التابعة لجامعة أم درمان– فرع دمشق.

Prince of Songkla University Pattani Campus

محمد عدنان أفيوني هذه الأخطاء في رسالته لنيل درجة الماجستير- كلية أصول الدين بجامعة أم درمان، يذكر الباحث مِن هذه الأخطاء التي ذكرها:

أ- في المقدمة:

ذكر في التعريف بابن عادل في الصفحة (21)، أنه مِن أعلام القرن التاسع الهجري، نقلًا مِن كُتب الأعلام الحديثة، ولم يتكلفوا بعناء البحث لمعرفة عصره، وتوسعوا كثيرًا في ذكر عصر المماليك، مِن الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، بينما ذكروا ابن عادل مختصرًا.

ب- في التحقيق:

وقعوا في أخطاء علمية كثيرة، لا يمكن السكوت عنها، منها:

أخطاء في النقل مِن النسخ: فقد أسقط المحققون في الصفحة (8) جملةً مِن كلام الواحدي، غيرت المعنى وقلبته رأسًا على عقب، فعبارتهم: "قال الواحدي:[322] هذا معنى وليس بتفسير، وذلك أن الاستحياء مِن الناس هو نفس الاستخفاء، فليس الأمر كذلك". وهو كلام مضطرب، والعبارة كما في النسخ، بما فيها الظاهرية التي هي بمثابة النسخة الأم لهم: " قال الواحدي: هذا معنى وليس بتفسير، وذلك لأن الاستحياء مِن الناس يوجب الاستتار مِن الناس والاستخفاء، فأما أن يقال: الاستحياء هو نفس الاستخفاء، فليس الأمر كذلك". وبالمقارنة بين العبارتين نجد كيف قلب المعنى بسبب السقط[323] وغير ذلك مِن الأخطاء.

المبحث الرابع: منهج الإمام ابن عادل الدمشقي في تفسيره معالم اللباب في علوم الكتاب

بدأ الإمام ابن عادل في تفسيره اللباب أولًا بمقدمة، ولكن مقدمته لم تكن طويلة كما جاءت في بعض التفاسير الأخرى، وتفسيره عبارة عن جمع أقوال العلماء كم قال في مقدمته: "فهذا كتاب

---

[322] هو: علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري، توفي سنة 468 هـ ، صنف في التفسير ، البسيط والوجيز والوسيط، وكتاب أسباب النزول، والمغازي. ينظر: الأدنه وي، طبقات المفسرين. ص (127).

[323] ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (183-189).

جمعته مِن أقوال العلماء في علوم القرآن وسميته....[324]". وقد رتب تفسيره كغيره مِن المفسرين المشهورين حسب ترتيب السور، فبدأ بسورة الفاتحة وانتهى بسورة الناس، وفي بداية السورة يذكر عدد آيات السور وهل السورة مكية أمْ مدنية، ويُحيل الآيات التي تم تفسيرها مسبقًا إلى مواضعها في تفسيره، مثل قوله تعالى: {ولقد خلقناكم ثم صورناكم...} [الأعراف:11] فعند كلمة السجود، ذكر أنه تكلم عنه في سورة البقرة[325]. ويقوم تفسيره في الشكل العام على بيان النازل القرآني، معتمدًا في ذلك أولًا على القرآن نفسه، وذلك مِن خلال استقصاء الآيات الواردة في ذات موضوع الآيات المراد تفسيرها؛ لأن ما جاء مُجملًا في مكانٍ جاء مفصلًا في مكانٍ آخر، وما ورد مختصرًا في موضع، ورد مبسوطًا في موضعٍ آخر، وما جاء مطلقًا في موضع جاء مقيدًا في مكانٍ ثانٍ، وهكذا، فإن لم يجد في القرآن نفسه، انتقل إلى المصدر الثاني، وهو تفسير القرآن بالسنة؛ لأن السنة جاءت مُفصلةً لآيات في كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين...﴾ [النحل:44]. فإن لم يجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينتقل إلى أقوال الصحابة والتابعين، وكلام العلماء، وسيأتي الأمثلة عند الحديث بمنهجه بالتفصيل أثناء المقارنة بينه وبين الإمام البغوي. ولم يتسم منهج الإمام ابن عادل بالاطراد، ولكن الأغلب أنه يبدأ بذكر المناسبة، ففي الآية {ألم ترى إلى الذين خرجوا....} [البقرة: 243] ففي (ألم تر) بين المناسبة أولًا، ثم بدأ بالإعراب، وأتى بالمعنى والمراد مِن الآية، ثم ختم بقراءة السلمي وبين قراءته تلك[326].

كذلك في قول الله تعالى: {ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة....} [آل عمران: 123] فقد بدأ ببيان مناسبة الآية بما قبلها[327] وغيرها كثير.

وأحيانًا لا يبدأ بذكر المناسبة، فقد يبدأ بالإعراب كما في قوله تعالى: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض....} [البقرة: 253][328].

---

[324] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب. (79/1).

[325] المصدر نفسه. (28/9).

[326] المصدر نفسه. (183/3).

[327] المصدر نفسه. (310/4).

[328] ينظر: ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (230/3).

وأحيانًا يبدأ بالقراءات كما في قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج....﴾ [البقرة: 240][329]، والإمام ابن عادل يعتمد في تفسيره على تفسير الرازي كثيرًا، والسمين الحلبي، وينقل عن القرطبي والبغوي.

المبحث الخامس: اللباب في علوم الكتاب في الميزان

المطلب الأول: مصادر الإمام ابن عادل الدمشقي في اللباب في علوم الكتاب:

يُمكن تمييز نوعين مِن المصادر التي اعتمد عليها الإمام ابن عادل في تفسيره؛ مصادر مباشرة، وغير مباشرة.

- المصادر المباشرة: وهي المصادر التي استقى منها الإمام ابن عادل بشكل مباشر، وهي:
  - في التفسير:

1- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.

2- مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير، للإمام محمد بن عمر الرازي.

3- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي.

4- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف السمين الحلبي.

  - في الفقه:

1- المحرر في الفقه الحنبلي، للإمام عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية.

2- الفتاوى، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي[330] الشافعي.

- المصادر غير المباشرة: وهي التي نقل منها النصوص بواسطة المصادر المباشرة، وأحيانًا يُصرح الإمام ابن عادل بذكر اسم المصدر، وأحيانًا لا يذكره وهي كثيرة منها:
  - التفسير بالمأثور:

1- تفسير الحسن البصري.

2- جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

3- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي.

---

[329] المصدر نفسه. (183/3).

[330] هو: يحيى بن شرف بن مرّي بن حسن بن حسين الحزامي، أبو زكريا النووي الدمشقي، ولد سنة 631 هـ بنوى وتوفي فيها سنة 676 هـ له مؤلفات كثيرة منها الروضة والأذكار، شرح الأربعين النووية، والمنهاج وغيرها. ينظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى (225/8).

Prince of Songkla University Pattani Campus

4- التفسير البسيط، والوجيز، والوسيط، لأبي الحسن، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.

- التفسير بالرأي:

1- التفسير الكبير، لأبي بكر محمد بن أحمد القفال الشاشي[331].

2- الكشاف عن حقائق التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

3- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد بن عبد الحق ابن عطية.

- تفاسير المعتزلة:

1- تفاسير الجبائي، أبو علي، محمد بن عبد الوهاب[332].

2- تفسير الرماني، علي بن عيسى[333].

3- تفسير القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني[334].

- في المعاني والإعراب:

1- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الديلمي[335].

2- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي[336].

3- نظم القرآن لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري[337].

Prince of Songkla University Pattani Campus

---

[331] هو: محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير أبو بكر، ولد سنة 291 هـ وتوفي سنة 365 هـ، من مصنفاته أصول الفقه، ومحاسن الشريعة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (283/16).

[332] هو: محمد بن عبد الوهّاب بن سلام الجبائي، المعروف بأبي علي الجبائي. شيخ المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، مؤسس فرقة الجبائية. ولد سنة 235 235 هـ في مدينة جُبّى في محافظة خوزستان، وتوفي في البصرة سنة 303 هـ. المصدر نفسه. (183/14-184).

[333] هو: أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني المعتزلي ولد سنة 296 هـ وتوفي سنة 384 هـ من تصانيفه شرح أصول السراج، وشرح سيبويه. المصدر نفسه. (533/16).

[334] هو: القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، ولد في أسد آباد سنة 359 هـ لقبه المعتزلة بقاضي القضاة. توفي سنة 415 415 هـ. المصدر نفسه. (244/17-245).

[335] هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي أبو زكريا، ولد سنة 144 هـ وتوفي سنة 207 هـ، المعروف بالفراء من مؤلفاته معاني القرآن واللغات والفاخر في الأنساب. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (119/10-120).

[336] هو: معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري أبو عبيدة ولد سنة 110 110هـ، وتوفي سنة 209 209 هـ من تصانيفه مجاز القرآن، إعراب القرآن. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (235/5).

[337] هو: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، ولد سنة 163 هـ وتوفي سنة 255 هـ سيد كتاب العربية وأئمة الأدب أصيب بالفالج آخر حياته. المصدر نفسه. (471/3).

- في النحو:

1- الكتاب لسيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان[338].

2- شرح موجز الرماني.

3- شرح التسهيل للسمين الحلبي.

وغيرها كثير مِن المصادر غير المباشرة التي أخذ منها عن طريق المصادر المباشرة[339].

المطلب الثاني: مميزات كتاب اللباب في علوم الكتاب:

ويمكن أن يُعْتبر تفسير اللباب مِن علوم الكتاب مِن التفاسير الموسوعية، شاملة لكل أنواع التفسير، المأثور والرأي، والفقهي، والإشاري، والموضوعي، وغيره.

ومِن أهم مزايا كتاب اللباب، جَمْعه آراء العلماء المتعددة، وذلك في مختلف العلوم، في المسائل النحوية وفي القراءات، والمسائل الفقهية، فهو يجمع جميع الأقوال في ذلك، سواء المشهورة أو غير المشهورة، بل والنادرة أيضا، ويدعم كل قول بشاهد مِن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأشعار، وغيرها.

وما يمتاز به أيضًا، دفاعه عن عقيدة أهل السنة في العقيدة والمسائل الكلامية، ويورد أقوال المخالفين والرد عليهم مِن الفرق الأخرى فيما سيتبين معنا في الحديث عن المقارنة في منهج الإمامين البغوي وابن عادل الدمشقي.

المطلب الثالث: المآخذ على كتاب اللباب في علوم الكتاب:

رغم المزايا التي ذُكِرت في تفسير اللباب للإمام ابن عادل الدمشقي، إلا أنه تطرق إليه الخلل، وأصابته بعض الهنات، ويمكن القول: المآخذ على تفسير الإمام ابن عادل كما في الآتي:

1- عدم اطراده في المنهج، فمرة يبدأ بالمناسبة، ومرة يبدأ بالقراءة، ومرة في الإعراب، ومرة في اللغة.

2- يعقد فصولًا في مواضيع متعدد متباينة، فمرة يعقد فصلًا في سبب النزول، ومرة فصلًا في حكم فقهي، ومرة في القراءات، ومرة في مسألة كلامية، وغيرها.

---

338 هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر الملقب سيبويه، ولد سنة 148 هـ وتوفي سنة 180 هـ إمام النحو حجة العرب. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء.

339 ينظر: أفيوني، اللباب من علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، دراسة وتحقيق من سورة النساء، رسالة ماجستير. ص (175-181).

Prince of Songkla University Pattani Campus

3- أما في النقل؛ فقد ينقل كلاما طويلا مِن كتاب ولا يعزو هذا النقل إلى صاحبه، ومرة يذكر أنه نقل مِن كتاب غير أنه يتصرف بالنقل، ولكن لا يمكن الأخذ عليه؛ لأن في عصره كان العلم رحِماً بين أهله.

4- أما بالنسبة لروايات الأحاديث؛ فهو يذكر الأحاديث بدون سند، ويورد الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة أحيانا كما في فضائل السور. لكن لا يستطيع الباحث القول: بالأخذ عليه بحيث ينقص مِن قيمة تفسيره؛ فبالنسبة لحذف الأسانيد، فقد دونت الأحاديث في كتب الحديث، وأما بالنسبة للأحاديث الضعيفة، فهو يذكر أحيانا سندها تنبيها على ضعفها.

5- يذكر الإمام ابن عادل في تفسيره اللباب، أسماء الأئمة، ويسميهم بغير أسمائهم المعروفة، فالإمام الرازي، يسميه بابن الخطيب، والسمين الحلبي بشهاب الدين، والمبرد بأبي العباس. ولعل هذا يُعدّ مِن التدليس.

وعلى الرغم مِن المآخذ على اللباب في علوم الكتاب، إلا أنها لم تَحُط مِن قدر هذا الكتاب الذي يُعتبر مِن التراث الإسلامي الذي يعتز به المسلمون بتراث علمائهم، وسيبقى مصدرًا ومرجعًا هاما لطلاب العلم، وأهل القرآن والتفسير، لا يمكن الاستغناء عنه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

خلاصة الفصل الرابع

1- نشأ ابن عادل الدمشقي في عصر المماليك المزدهر بالحياة العلمية في عصر المماليك، رغم الخلافات ، وكان هناك اهتمام كبير بالعلماء وبمكان العلم، حيث أنشئت العديد مِن المدارس، وكثرت حلقات العلم والمناظرات، والجمع والتأليف.

2- كان ابن عادل الدمشقي حنبلي المذهب سني المعتقد يدافع عن أهل السنة والجماعة، وكان بعيدا عن السياسة والأمور الشاغلة عن العلم والتأليف.

3- اتسم تفسير اللباب في علوم الكتاب بالمنهج الذي جَمَع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، كما سيتضح في الفصل الخامس عند المقارنة بينه وبين الإمام البغوي في معالم التنزيل.

4- لتفسير ابن عادل الدمشقي (اللباب في علوم الكتاب) مصادر مباشرة ومصادر غير مباشرة، وأهمها في المصادر المباشرة؛ تفسير البغوي في المأثور، وتفسير الرازي والسمين الحلبي في الرأي.

5- نال كتاب اللباب في علوم الكتاب قبولًا لدى أهل العلم، وكَثُرت الدراسة في منهجه وتفسيره، ويظل تفسير ابن عادل الدمشقي (اللباب في علوم الكتاب) مَحَط أنظار طلبة العلم لا سيما في التفسير، وهو مِن المصادر الهامة يعودون إليها عند التفسير.

Prince of Songkla University Pattani Campus